Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

تمثيلات المنفى في الخطاب الما بعد كولونيالي

كتابات الكاتب الإيراني حميد دباشي نموذجا

Representations of exile in postcolonial discourse

"The writings of the Iranian writer Hamid Dabashi" as an example

ADNANE FOUDIL عدنان فوضيل
Abderrahmane Mira University - Bejaia .جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية-
foudil.adnane@univ-bejaia.dz

تاريخ الاستلام: 2021-11-01 تاريخ القبول : 2022-03-27

الملخص:

تستند دراستنا هذه إلى آراء الباحث والمفكر الإيراني " حميد دباشي" من خلال كتابه **" ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب"** والذي ركّز في شق من كتابه هذا على فكرة التمثيل، تمثيل المثقف المنفي، عبر تغيير مفاهيم المنفى السلبية نحو منفى إيجابي يمثله مثقف إيجابي فاعل لا مفعول به، وما أثار الجدال أكثر وفتح أبواب النقاش في هذا الكتاب هو الانطلاق من آراء المفكر الأمريكي " راسل جاكوبي" حول المثقف المنفي، عبر انتقاده لإدوارد سعيد وتشومسكي وحصرهم ضمن جماعة " الأساتذة النجوم".

تحاول هذه الدراسة تقديم واقع المنفى وتمثيله من طرف المثقف المغترب عبر نموذج " مجتمع النقاد المضادين" الفاعلين، وهذا عبر ما أسفرت عنه الساحة الثقافية العالمية المعاصرة، وكذا من خلال طروحات ما بعد الاستشراق.

منهج الدراسة في هذه الورقة البحثية ارتكز أساسا على ضبط المفاهيم والمصطلحات المرافقة عبر تفكيكها عن سياقها العام والمتمثل في كتاب " مابعد الاستشراق" لحميد دباشي، وإعادة بنائها وفق الطرح النقدي لبحثنا.

الكلمات المفتاحية: ما بعد الاستشراق، المثقف المنفي، المنفى، التمثيل، ما بعد كولنيالي.

Abstract:

Our study is based on the views of the Iranian researcher and thinker “Hamid Dabashi” through his book “Post-Orientalism, Knowledge and Power in the Time of Terror,” which focused in part of his book on the idea of representation, representing the exiled intellectual, by changing the negative concepts of exile towards a positive exile represented by it. Positive, active, not passive educated

What sparked more controversy and opened the doors for discussion in this book was the start from the views of the American thinker "Russell Jacoby" about the exiled intellectual, through his criticism of Edward Said and Chomsky and confining them to the group of "star professors".

This study attempts to present the reality of exile and its representation by the expatriate intellectual through the model of the active “counter-critics community”, and this is through what the contemporary global cultural scene has resulted in, as well as through post-Orientalist propositions.

The study method in this research paper was mainly based on controlling the accompanying concepts and terms by dismantling them from their general context represented in the book "Post-Orientalism" by Hamid Dabashi, and reconstructing them according to the critical presentation of our research.

Keywords: Post-orientalism, intellectual exile, exile, representation, post-colonialism

مقدمة:

يعتبر حميد دباشي من بين الباحثين والناقدين المعاصرين الذين اشتغلوا على قضية الاستشراق وما بعده، ولعلّ التأثير الذي تركه صديقه وزميله إدوارد سعيد فيه هو ما جعله يسهب في طروحاته حول الاستشراق، وما يشغلنا في هذه الورقة البحثية ما أشار إليه الكاتب في معرض كتابه **(ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب)**، والذي يستعرض فيه عدّة اشكاليات جوهرية ترتبط بالاستشراق، ولعلّ أهمها تلك المتعلقة بعلاقة المثقف بالمنفى.

يعتبر كتاب **(ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب)**- وثيقة نقل من خلالها حميد دباشي التصورات الفكرية حول ظاهرة المنفى بوصفها إحدى إشكاليات دراسات ما بعد الاستشراق. إذ "**يهدف حميد دباشي في كتابه "ما بعد الاستشراق" لتكملة عمل إدوارد سعيد في الاستشراق ، و من ثم لا يتناول تشخيص الاستشراق مثلما بينها إدوارد في كتابه سالف الذكر بل يسعي دباشي لتحديث ملاحظات إدوارد سعيد و تفصيل مضامينها بالنظر إلى الأحداث التي تلت كتاب الاستشراق ، و يسعي دباشي لتقديم بيان التمثيل الذاتي المستقل بعدما كشف إدوارد السلطة المعرفية للاستشراق و أدواتها و الكيفية التي تم فيها بناء صورة الشرق المتخيل عبر مصطلحات و مفاهيم غير حقيقة**"[1]،

إذ حاول دباشي عرض لطروحات إدوارد سعيد وفق معطيات جديدة وراهنية، وبالتالي تأكيد على فاعلية هذه الطروحات والأفكار ، وما يهمنا هنا هو نظرة دباشي لموضوع تمثيل المنفى الذي نادى به إدوارد سعيد، خاصة في الشق النقدي أو المشروع النقدي الذي ينادي به، والمتمثل في بناء مجتمع نقدي من المفسرين المضادين، وسنستعرض في هذه الورقة البحثية أهمّ المحطات التي أشار إليها حميد دباشي حول هذا الموضوع محاولين إبراز رؤيته حول المنفى والمثقف.

المحور الأول: 1/ بروز مفهوم المثقف الهاوي:

أعلن القرن الواحد والعشرين عن تغيير جذري في المعادلة الثقافية فلم يعُد المثقف الناطق الرسمي عن احتياجات المجتمع، خاصة مع ما يشهده العالم من تغيير في أنظمته التواصلية، وبروز العولمة الثقافية بمفاهيمها الكونية، وتوجهها نحو ما يعرف بـ "الكوسموسوقية"، إذ بات هذا المثقف" **بأعجز من أن يقوم بتنوير الناس، إذ هو الذي أصبح يحتاج إلى التنوير، بنقد دوره وتفكيك خطابه عن العقل والاستنارة(...)، ومن هنا أيضاً كانت المقولة: مشكلة النخب الثقافية هي في نخبويتها بالذات. ذلك أنّ النخبوية قد آلت إلى العزلة والهامشية، وأنتجت التفاوت والاستبداد، بقدر ما جسدت الاصطفاء والنرجسية لدى النخب الثقافية**"[2]، فهذه النخبوية قد أحدثت وتحدث وقعا نفسيا في لدن المثقف تجعله يحس بالاستعلاء على المجتمع الذي من المفروض أن يمثله، ليفقد دوره وشموليته مقابل مكانة عليا ونرجسية مفرطة، وهو ما زاد في تهميشه أكثر من ذي قبل.

من جهته يقرّ علي حرب صراحة في وقوع النخب الثقافية في إشكالية تتمثل بالدرجة الأولى في نخبويتها و نرجسيتها و التي أدى بها إلى اكتساب رؤية استعلائية نحو الآخرين، وهو الشيء الذي أحدث ما يسمى " بأزمة المثقف"، والمقصود بالأزمة هنا : "**فقدان المصداقية الفكرية والفاعلية النضالية، بعد تصدّع النظريات الشاملة المعتمدة في قراءة العالم، وبعد انهيار المشاريع الايدولوجيا والسياسية في ضوء التحولات المتسارعة على أرض الواقع المتحرك** "،[3]

وهو ما دفع إلى الدعوة نحو تغيير الوضع، تغيير من عدم فعالية المثقف نحو المثقف الفعّال الذي يمكنه من مرافقة المجتمع نحو برّ الأمان المعرفي والفكري، ولعلّ مشروع إدوارد سعيد يستجيب صراحة لهذه الدعوة، وهذا في بحثه عن المثقف الذي يمثل المجتمع وفق شروط معينة تجعل من هذا التمثيل فعّالا ومؤثرا إلى حدّ يحدث فرقا ويترك أثراً.

وبالعودة إلى كتاب "المثقف والسلطة"، والذي يعرض فيه إدوارد سعيد أراء كلٍ من " أنطونيو جرامشي"، و " جوليان بندا" في بحثه عن مفهوم المثقف، إذ يقدم لنا إدوارد سعيد مفهوم المثقف عند " جرامشي" بنوع من التفصيل وذلك بالاعتماد على مقولته المشهورة " إنّ جميع الناس مفكّرون"، وهو بهذا يقسّم المثقف إلى نوعين:

- المثقف التقليدي: وهو كل شخص له علاقة مباشرة بالمعرفة كالمعلم، أو الإداري.

-المثقفون المنسقون أو العضويون: كالفنّي الصناعي، والمتخصص في الاقتصاد والسياسي...الخ.

فالمثقف عند " جرامشي" هو شخص يؤدي مجموعة من المهام والوظائف في المجتمع. ،[4] ولا تقتصر صفة المثقف على الأشخاص الذين ينتمون أو يخدمون المؤسسة، بل كل من يساهم في بناء المجتمع يعتبر من طبقة المثقف العُضْوي، وهو

المرتبط على نحو مباشر بطبقات أو بمؤسسات تجارية تستخدم المثقفين لتنظيم المصالح واكتساب المزيد من القوة وزيادة السيطرة. وفي عالم اليوم وفقاً لجرامشي يعتبر خبير الإعلام أو العلاقات العامة الذي يستنبط أساليب تضمن لمسحوق غسيل أو شركة طيران حصة أكبر من السوق، مثقفاً عضوياً.

أمّا " جوليان بندا" فإنه يميز بين نوعين من المثقفين، النوع الأوّل وهم: " عصبة ضئيلة من الملوك الفلاسفة من ذوي المواهب الفائقة والأخلاق الرفيعة الذين يشكلون ضمير البشرية"، وهم ما يسميهم "بالمثقفين المزيفين" أما النوع الثاني وهم المثقفون الحقيقيون والذين" لا يتمثل جوهر نشاطهم في محاولة تحقيق أهداف عملية، أي جميع الذين ينشدون المتعة في ممارسة أحد الفنون أو العلوم. ومنه فالمثقف الحقيقي عند " بندا" هو الذي ينشد المتعة ولا يهدف إلى تحقيق أهداف مادية ومراكز سلطوية عليا[5].

وبعد عرض هذه الآراء يذهب " إدوارد سعيد" إلى محاولة لضبط مفهوم المثقف، وذلك بنقد كل من الرأيين السابقين بقوله:" **هو فرد في المجتمع له دور علني محدد لا يمكن تصغيره إلى مجرد مهني لا وجود له، أو عضو كفؤ على مجموعة أو طبقة ما لا يهمه سوى أداء مهامه، فالحقيقة بالنسبة إلى المثقف هو وهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة، أو وجهة نظر أو موقف أو فلسفة(...)، مهمته أن يطرح علناً لمناقشة أسئلة حرجة، ويجابه المعتقد التقليدي والتصلب العقائدي بدلاً من أن ينتجها"[6].**

نفهم من هذا أنّ إدوارد سعيد ينتقد أراء كل من " جرامشي"، و" بندا"، كاشفا عن مفهوم مغاير ويتمثل في مفهوم (المثقف الهاوي)، فهو المثقف الذي " **لا تحفزه مكافأة أو فائدة ولا يحفزه تحقيق الأهداف المباشرة لحياته العملية، بل يدفعه الاشتباك الملتزم بالأفكار والقيم في الحياة العامة"**[7]، بوصفه الجدير الذي يمكنه خوض غمار أي مجال من المجالات وطرح الأسئلة الحرجة ومناقشتها علنية، فهو ليس مجرد مهني، ولا عضو مهم مقيد بانتمائه إلى طبقة معينة، بل يذهب إلى حد الاشتباك الفكري والقيمي إن لزم الأمر دفاعا عن المجتمع الذي يمثله.

وانطلاقا من هذه النظرة يحاول حميد دباشي أن يعيد قراءة مشروع إدوارد سعيد من خلال تحديث أفكاره، وإعادة شرحه خاصة بعد الانتقادات التي طالت مشروعه المفكك لخطاب الاستشراق، ومحاولاته لتحرير المثقف وجعله ممثلا لطروحات (المابعد...).

المحور الثاني: في مفهوم " تريف المثقف " Suburbanization:

في كتابه (ما بعد الاستشراق) تحدث المفكر الإيراني (حميد دباشي) عن علاقة المثقف بالفضائين المديني والريفي، مستندا إلى تصور راسل جاكوبي والذي يرى فيه بأنّ المثقف المديني في أمريكا أُضطر إلى الانتقال إلى مواقع طرفية في المدينة، وهذا راجع إلى الوقائع والظروف والتي أدت إلى تريفهم، فاسحة الفضاء أمام ما يسميه بـــ" الوصولية الأكاديمية ". وتساهم هذه الأخيرة، حسب جاكوبي، في إجهاض أي محاولة لبناء مجتمع نقدي من المفسرين المضادين[8]

إذ تتمثل-الوصولية الأكاديمية- في أبسط تعاريفها على أنّها **" ميل الأكاديميين (مثل الأساتذة الجامعيين بشكل خاص والمثقفين بشكل عام) للسعي خلف إغناء أنفسهم وتطورهم الشخصي على حساب البحث العلمي الحيادي والاستفسار النزيه ونشر الحقيقة لتلاميذهم والمجتمع. تم انتقاد هذه الوصولية من قبل سقراط في أثينا القديمة وراسل جاكوبي في الوقت الحاضر."**[9]، منه يلقى المفسر المضاد (بوصفه مثقفا يقف في الجهة المضادة للسلطة) رفضا كليا من طرف هذه السلطة، والتي مهدت لاغتياله عبر تشكيل زمرة من المثقفين الأكاديميين ذوو النزعة الوصولية، مستحوذين على دور المثقف الحقيقي، وهو ما يؤدي إلى تعطيل دوره الحقيقي، وكذا تعطيل تكوين مجتمع نقدي من المفسرين المضادين.

من جهة أخرى، يستعرض دباشي سبل تكوين أو بناء هذا المجتمع النقدي من المفسرين المضادين، **"ويؤكد نحن أمام المفاوضة على موقع للتمثيل الذاتي التاريخي الفاعل سواء عبر نقد (سبيفاك) للناقد الأوروبي لموضوع السيادة أو عبر إنسية سعيد الديمقراطية مناهضاً ، و في كلتا الحالتين نفترض أن شخصية الناقد الما بعد كولونيالي هي في كنف المزاوجة الأمر الذي يتوجب معه إثارة السؤال في المسميات المتلازمة للنظرية النقدية ."**[10]

ولعلّ هذه المزاوجة التي ينادي بها دباشي هي الصفة التكاملية التي يتوجب على المثقف الحقيقي أن يتميز بها، إذ يكمن التكامل في نقد المركزية الأوروبية التقليدية، وكذا حسّ المناهضة الحديث، ولكن الإشكال الحقيقي من كلّ هذا هي

الصعوبة التي يتواجد فيها المثقف المنفي فخاصة في اتخاذه من الجهة المضادة منطلقا فكريا له، خاصة إذا اتخذ موقف النفي السلبي، والذي ينظر إليه إدوارد سعيد على أنّه **" الشرخ المفروض الذي لا التئام له بين كائن بشري ومكانه الأصلي، بين الذات وموطنها الحقيقي"**[11]، ورغم هذا التعريف الذي يحمل مأساوية كبيرة وسلبية معتبرة إلاّ أنّ إدوارد سعيد يرفض توظيفها – السلبية-، بل يستدعي مكانها الايجابية في محاولة منه تفعيل دور هذا المثقف المنفي.

وقد أشار دباشي إلى موقف إ. سعيد من دور ظروف المنفى وحياة الهامش والأطراف في التحرر من أفخاخ المؤسسات التي تنتمي إلى السلطة (سلطة سياسية، سلطة اكاديمية، سلطة اجتماعية...إلخ) ويعتبر هذا الدور إيجابيا أو بتعبير آخر فعالا؛ وهي قد تؤدي إلى إنتاج بدائل ثقافية ومعرفية وسياسية تتجاوز الدائرة الضيقة للمراكز نحو أفق أوسع.[12]، منه فإنّ هذا المثقف المنفي مُطالب اليوم الخروج من الدائرة الضيقة التي وُضع فيها، وفكّ القيود الممنهجة التي تكبل دوره، وبالتالي محاولة تفعيل دوره عبر كسر مركزية المركز ونقد ونقض الأحادية الفكرية.

إنّ الحديث هنا عن المركزية يستدعي بالضرورة نقيضها والمتمثل في الهامش، فالتهميش **" هو الحالة التي تبنيها العلاقة المفترضة بمركز متميّز، إنّها عملية « إضفاء صفة الآخرية» التي تخضع لتوجيه السلطة الامبراطورية(...)، ويعتبر «الهامشي » و« المتغيّر» من خصائص رؤى ما بعد الكولونيالية"**[13]، إذ تركز الدراسات الما بعد كولونيالية بصفة عامة على دراسة ثقافات ما بعد نهاية الكولونيالية انطلاقا من الكتابة الرجعية (إعادة القراءة) وصولا إلى مراجعة شاملة للمقولات الغربية عن الشرق، وهذا من فرانز فانون مرورا بـ سبيفاك حتى إدوارد سعيد.

ويتأكد هذا الطرح عند دباشي بتركيزه على التابع والمقصود به هنا هو المهمش أو المنفي، و يؤكد على "**ضرورة العمل بشكل فردي من زوايا مختلفة باستهداف مراكز الفكر الأوروبي مثل هيغل في قراءته للتاريخ و دريدا أو الحداثة كما يطرح دباشي، كلها ضمن إطار نقد المركزية الأوروبية ، للحصول على صوت للتابع مسموع عبر تفكيك الخطاب المركزي المهيمن و السطوة الإمبريالية ."**[14]

وممّا لاحظناه في آراء دباشي أنّه يحاول تبني فكرة التمثيل هذه عبر توظيف مشروع إدوارد سعيد بوصفه نموذج ما بعد كولونيالي جاء لنقد مركزية الخطاب المركزي الأوروبي، ولكن في نفس الوقت يحاول أن يجعل من إدوارد سعيد نموذجا لهذا المثقف الفعال، وبالتالي ممثلا عن المثقف المنفي، ومنه كان لابد أن نطرح عدّة تساؤلات حول جدية هذا التمثيل، أو بالأحرى حول صلاحية أن يكون إدوارد سعيد ممثلا عن المثقف المنفي، فهل يمكن اعتبار سعيد النموذج المثالي للمثقف المنفي، أو بالأحرى هل يمكنه تمثيل المنفى؟

يرتبط مفهوم المنفى هنا بمفهوم الهامش بشكل يتراءى للمتلقي أو القارئ أنّ السلبية المرافقة لمفهوم الهامش قد اكتسبها المنفى بشكل أو بآخر، خاصة المفهوم التقليدي والذي ينظر إلى الهامش **" كمكان منفعل لا فاعل تترجمه، على المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية، معاني الانطواء والانعزال والهروب من الفعل والتفاعل. فهو بهذه المعاني مكان السلب يختاره اليائسون، المتقهقرون، مكان تجتمع فيه كلّ القوى المنهارة لتعلن عن انهيارها وتنصاع لأوامر المركز كسلطة وسيادة"**[15].

ويجب التركيز هنا على دور السلطة في خلق السلبية اللازمة لإبقاء الحدود آمنة بين الصرحين ونقصد هنا ثنائية **المركز/الهامش**، والتي تغذيها فكرتي الاختلاف والتمايز، ويشير في هذا الصدد **(بينغ تشول هان)** من خلال كتابه **(مجتمع الشفافية)** إلى هاذين الطرحين ودورهما في تفعيل السلبية، ويقول" **إنّ السليبة المرتبطة بالغرابة، والاختلاف –بعبارة أخرى التمايز عن الآخر- تزعج عملية التواصل السلس، وتؤخر حدوثه. يرتهن وجود الشفافية داخل النظام بالقضاء على فكرة الآخرية والتمايز"**[16]

وبالتالي الاحساس بالاختلاف والتمايز أو ربما أعمق من ذلك نحو الاحساس بالدونية، هو ما يشكل الثنائية المعروفة (المركز/الهامش)، والتي تحاول السلطة الترويج لها والابقاء على مفهومها التقليدي لها والمتمثل في تجلي **" المركز كمحرك أوّل للكون والتاريخ والانسان والمعرفة، لكن العصر الحديث قلب هذا التحليل كلية. توجه إلى الهامش واعتبره الفاعل الرئيس، على مستوى الفرد والجماعة، اجتماعيا، اقتصاديا، معرفيا، تاريخيا"**[17]

هذه الفاعلية التي تقرّ بها معظم الآراء و الدراسات النقدية والثقافية بما فيها آراء إدوارد سعيد، فحسبه فلقد **" أدى الاختمار في الوعي الأقلوي، التابع ، النسوي، وما بعد الكولونيالي إلى كثير من الانجازات المفيدة في المقاربة**

المنهاجية والنظرية لدراسة العلوم الانسانية كما أحدث ثورة كوبرنيكية بالمعنى الحرفي للكلمة في جميع حقول البحث التقليدية، فلقد تم تحدي المركزية الأوروبية تحديا حاسما"[18]، لتلعب هذه التوجهات الفكرية دورا حاسما في إحداث تغييرات على المستوى المنهجي والنقدي الغربي، محدثة فجوة أو صدعا في أسس المركزية الأوروبية و كذا الأحادية الفكرية.

وهو نفس التوجه الذي اختاره بعده حميد دباشي، والذي يؤمن بأنّ هذه الفاعلية هي المحرك لتكوين المجتمع النقدي من المفسرين المضادين، والتي تمنح صفة الايجابية للمثقف المنفي، لكن من جهة أخرى يذكر حميد دباشي سببين أساسيين لأسباب النفي أوعدم قيام مجتمع نقدي من المفسرين المضادين:

- **أولا- متلازمة النجومية:**

يرتبط مصطلح النجومية أكثر بعوالم السينما خاصة الهوليودية رغم البريق الذي يرافقه إلاّ أنّه يحمل سلبيات كثيرة أهمها القيود المفروضة من طرف المؤسسة، ولعلّ مصطلح " متلازمة" يرتبط أكثر بعوالم الطب والأمراض المزمنة، إذ يوحي ارتباط هذه الصفة وملازمتها لصاحبها لفترات طويلة من حياته، ويخصّ (دباشي) بالذكر في كتابه (الاستشراق) كل من (إدوارد سعيد)، و(تشومسكي) بوصفهما مصابان بمتلازمة النجومية، أو كما يسميهم (الأساتذة النجوم)، **" فهم أساتذة منفيين يدرسون بأرقى الجامعات الأمريكية بمقابل مادي"**[19]

لذا ينطرح سؤال امكانية الاعتماد عليهما من عدمه في مشروع قيام مجتمع نقدي يمتاز بالتفكير الحر. ويرى بعض المفكرين في عدم أهلية هؤلاء في تمثيل المنفى أو حمل صفة المثقف الهاوي والحر، ويتأكد هذا التوجه في نبذ وإخراج هؤلاء المثقفين اللامعين من دائرة المثقف المنفي عند (راسل جاكوبي) خاصة في كتابه (نهاية اليوتوبيا) The End Of Utopia والذي يقول **" هل يمكننا القول بأنّ دريدا أو سعيد أو هنري لويس جيتس يعيشون حياة مغمورة أو مهمشة؟ الأقرب إلى الصحة أن تقول العكس. هم- وسواهم من مثقفي المعارضة- يشغلون وظائف متميزة في مؤسسات كبرى، ويتلقون الجوائز والدعوات بانتظام"** [20]

منه يتأكد عنده رفض انتماء هؤلاء إلى زمرة المنفيين والمهمشين، بل بالعكس تماما سيتساءل القارئ حول توصيف هؤلاء أنفسهم بالمهمشين، فـ"هل يمكن أن تكون مهمّشا ناجحا؟"[21]، على حد تعبير (راسل) لتنتفي صفة الهامشية هذه بمجرد اقترانها بصفة النجاح، ويمكن الإشارة هنا إلى أنّ راسل جاكوبي يستند إلى المفاهيم البسيطة للهامش، والتي تؤكد ارتباط **"ظاهرة الهامشية- من منظور علم الاجتماع- بالفقر واللاّمساواة والبؤس والحاجة والفاقة، إذ تشير إلى شريحة اعتصمت بالأحياء الفقيرة تمارس أنشطة متواضعة تقوم أساسا على أعمال يدوية وحرف أو تجارة بسيطة"**[22]

من جهته يرفض إدوارد سعيد هذا التصنيف الذي وُضع فيه، فالنجاح هنا هو تأكيد على الفاعلية التي نادى بها، **" فالفكر الأكاديمي، والنظري، والجمالي في الولايات المتحدة لم يصل إلى ما هو عليه اليوم إلاّ بفضل أولئك الذين لجأوا إليها هربا من الفاشية، والشيوعية، وسوى ذلك من الأنظمة"**[23]، ويدرج الكثير من النماذج والتي غيّرت من مجرى التفكير، واستطاعت أن تتجاوز الأحادية الفكرية الغربية.

- **ثانيا- ثقافة الاحترافية المستديمة self perpetuating:**

يدرج دباشي إشكالية أخرى تقف عائقا أمام تكوّن المجتمع النقدي الحر ألا وهو شيوع الثقافة الاحترافية التي ترافق الطالب الجامعي، والذي بات مع الوقت يفكر فقط بالمستقبل أو بمساره الوظيفي الاحترافي بعيد عن طرح تساؤلاته حول العالم بوصفه-الطالب- النواة الأولية لخلق المفكرين المستقبليين ، ومنه عزوف الطالب عن ممارسة التفكير الحرّ في فضاء الكليات النقدية[24].

إذ يشهد العالم اليوم توجها رهيبا نحو هذه الاحترافية والتي تمنح من جهة استقرارا ماديا لكن من جهة أخرى تساهم في بتر أهم شيء في الإنسان ألا وهو جانبه التفكيري والإبداعي، وكذا خلق مجتمع مفكر يستطيع حمل لواء المفكر الحر والمضاد، وهو ما يضع الفكر المعاصر حسب دباشي في مأزق خطير، إذ تنبئ أقلّ أضراره إلى تكريس مركزية المركز، وتكريس أحادية الفكر.

المحور الثالث: إدوارد سعيد بين تمثيل المنفى و تشكيل الوعي النقدي:

رغم هذه المآزق الفكرية، يحاول دباشي إيجاد مخرج لمأزق التمثيل، أي تمثيل المنفى لدى إدوارد سعيد وغيره من المثقفين، خاصة أنّ إدوارد سعيد حامل لمشروع ما يسمى بـ (مثقف المنفى الفاعل)، إذ " **وجد إدوارد سعيد أنّ تجربة (المنفى) هي إحدى الظواهر الاجتماعية والتاريخية التي ميّزت القرن العشرين، والتي ساهمت بشكل كبيرومؤثر في بناء الثقافة المعاصرة**"[25]، وهو المشروع الذي يستند إلى فكرة إيجابية المنفى في إعادة بناء الفكر المعاصر وتفتحه على الثقافات العالمية، على عكس المتداول في المفاهيم العامة والسلبية للمنفى.

في مقارنته بين أدرنو وإدوارد سعيد يصل (دباشي) إلى نقطة مهمّة وهي تمتع إدوارد سعيد بـ"**القراءة الإيجابية والمتمكنة للمنفى، وإذا قيّض لها أن تتواءم مع متغيرات بنيوية مديدة في الشروط الاجتماعية الأمريكية، بمعنى أن تصل إلى حضور فعّال أو مشترك لمثقفي المنفى في المحيط القريب من مراكز الهيمنة، فيمكنها عندئذ أن تؤدي إلى تغيير تاريخي في دور المثقفين**"[26].

بهذا يحاول سعيد إيجاد منفذ نحو تمثيل المنفى بإعطائه الصفة الايجابية وهي في الحقيقة تمثل الموقع الذي وصل إليه في هرم المجتمع الأمريكي، والذي يتراءى للأعين أنّه يتنافى مع طروحات المنفى خاصة في شقها السلبي، والتي تحمل معاني الاغتراب والفقر والحاجة والألم وكذا البعد، وهو لا ينفي هذه الصفات، بل يرى فيها دافعا قويا لصقل شخصية المثقف المنفي، إذ " **لا يمكن فصل ظاهرة المنفى في الثقافة المعاصرة عن الطبيعة الجوهرية للقرن العشرين، فهو القرن الذي ساد فيه الإحساس بالغربة والقلق والرغبة في الخروج عن التقاليد وعن إرث العائلة، وبسبب هذه الظروف تشكّل داخل المنفي شخصية قلقة وشكاكة**"[27]

وبالتالي يساهم المنفى في تشكل وعي المثقف الفاعل، والذي يعاكس تماما أنواع المثقفين السلبيين نحو ما يسميه (راسل) بمثقف ما بعد اليوتوبيا، بوصف أنّ اليوتوبيا هنا لا تعني " رؤية مجتمع المستقبل بل تعني رؤية صافية بسيطة وقدرة، ربما رغبة، على استخدام مفهومات رحبة لرؤية الواقع وإمكاناته"[28]

هو نفسه المثقف الذي ينادي به إدوارد سعيد حسب حميد دباشي، والذي يطلق عليه تسمية (المثقف البرمائي)، والذي يقابله في الضفة المعاكسة تماما (مثقف التهميش المزدوج)، فالأوّل رشيق يجوب المساحات المشتركة بين محيطين متشابكين، متحرر ينتمي إلى غير مكان، فهو مابعد وطني(ما بعد كولونيالي)، إذ يحتضن الوطن والمنفى معا ولديه قدرة استيعاب الهنا والهناك، وفي الأخير لم يعد المثقف البرمائي مقيدا بالحدود القومية الباطلة (والمخترعة كولونياليا)، أمّا الثاني (مثقف التهميش المزدوج)، فيؤمن علماء الاجتماع أنّ شرط المنفى الأساسي هو التهميش المزدوج، والذي يتميز فيه المثقف بالحرمان الذاتي، ليصبح وطنه هو اللامكان يتصف بالنكوصية ومسكون بالحنين[29]

يشترط إدوارد سعيد إذا في هذا المثقف البرمائي أن يستحضر ويشكّل وعيا نقديا خاصا به، " **هو وعي منفيّ، أي وعي معارض، يقف في الجهة الأخرى للمجتمع تحركه الأسئلة، وتغذيه الحاجة إلى قول (لا) في وجه السلطة**"[30].

فهو وعي معارض بالدرجة الأولى ومنه نلاحظ أنّ دباشي يستدرجنا ببطء نحو طروحات الما بعد كولونيالية ، إذ أنّنا " **نستخدم مصطلح « ما بعد كولونيالية» ليشمل كلّ ثقافة تأثرت بالعملية الامبريالية منذ اللحظة الكولونيالية حتى يومنا الحالي(...)، كما أنّنا نطرح أيضا أنّ هذا المصطلح هو الأكثرملاءمة، بوصفه مصطلحا للنقد عبرالثقافي الجديد**"[31].

ولعل التركيز هنا على هذا النوع من النقد هو أساس الدراسة التي ركز عليها إدوارد سعيد بالدرجة الأولى، وهو ما يحيلنا إلى طرح سؤال الماهية في هذا البعد من البحث، إذ " **تقتضي الخطابات النقدية ما بعد الكولونيالية أشكالا من التفكير الديالكتيكي لا تنكر أو تلغي الآخرية (المغايرة) التي تشكل الميدان الرمزي لكلّ من التعيين النفسي والاجتماعي للهوية**"[32]، فلا يمكن إنكار الآخر لمجرد أنه يقف في الجهة المقابلة، كما أنّ الرفض سيجعل من هذا الخطاب خطابا مركزيا بدوره، وهي الصفة التي يحاول الفكر ما بعد الكولونيالي القضاء عليها.

و منه فالفكرة الأساسية من كلّ هذا هو قدرة هذا الفكر إثبات دوره في نفس الثقافة دون ردمها، فالذي " **ميّزالحركات الثقافية التحررية العظيمة التي وقفت ضد الإمبريالية الغربية هو أنّها أرادت التحرر ضمن الخطاب ذاته الذي**

تسكنه الثقافة الغربية"[33]، ومنه فهل من الممكن رفض (روائع الثقافة الغربية)؟ فالوعي النقدي الذي ينادي به دباشي وقبله إدوارد سعيد، هو فكر مضاد، لكنه مضاد للفكر الإقصائي الذي مارسه الخطاب المركزي الأوروبي.

خاتمة:

- إنّ تتبع حميد دباشي لمشروع إدوارد سعيد قد مكّنه في النهاية من تبني فكرة المثقف المنفي الفاعل، بوصفه مثقف يستطيع أن يمارس فكرة التغيير، ويثبت ذلك عبر نقده لمختلف الخطابات عبر نماذج دراسية للفكر الإيراني بالدرجة الأولى عبر إسقاط مفاهيم المشروع (الإدواردي) عليها.
- توصلنا في النهاية على أنّ فكرة تكوين المجتمع النقدي المضاد بالوصف الذي حدده إدوارد سعيد والتي تقوم على رفض التفكير الأحادي والمركزي الإقصائي، وفي نفس الوقت رفض كل فكر ينفي الآخرية، إذ يشترط في الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالي تقبل الفكر المضاد ونقض الإقصائية، وبالتالي يتوجب على هذا الفكر كما يرى حميد دباشي الاستناد إلى نقد سبيفاك ونهضوية إدوارد سعيد.
- إنّ تشكل الوعي النقدي كما نادى به إدوارد سعيد يستلزم تقبل المنفى والانفلات من مفاهيم القومية والوطنية التي تكبح الفكر، والتوجه نحو فكر عالمي، فلم يعد الوطن هو مجموع الحدود الجغرافية المرسومة للمكان الأصلي، بل الوطن أوسع وأشمل من أن تحدده الرسومات الجغرافية، فالوعي النقدي يستدعي فكرا منفتحا على كل الأشياء بإيجابية، تسهم في تكوين جيل من النقاد العالميين ذوي الفكر المضاد.

. قائمة المراجع:

1. إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
2. إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى ومقالات أخرى 1، تر: ثائر ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
3. إدوارد سعيد، صور المثقف، تر: غسان غصن، النهار للنشر، دط، بيروت، 1996.
4. بن علي لونيس، إدوارد سعيد، من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية(كيف نؤسس للوعي النقدي؟)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018.
5. بيل أشكروفت وآخرون، الرّد بالكتابة(النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة)، تر: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
6. بيونغ تشول هان، مجتمع الشفافية، تر: بدر الدين مصطفى، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2019.
7. حميد دباشي، ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الارهاب، تر: باسل عبد الله وطفه، منشورات المتوسط، إيطاليا، ط1، 2015.
8. راسل جاكوبي، نهاية اليوتوبيا(السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة)، تر: فاروق عبد القادر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 269، 2002.
9. علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط03، 2004.
10. محمد بنيس، في الكتابة والحداثة، الأعمال النثرية، ج1، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2016.
11. هومي.ك.بابا، موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

مواقع الكترونية:

1. ماد قبريال قاتوج، طروحات إدوارد سعيد وحميد دباشي في الاستشراق وما بعد الاستشراق: دراسة تحليلية مقارنة، مقال نقدي، الموقع الالكتروني: https://www.ahewar.org/، تاريخ الانزال: 2017 / 4 / 17.
2. وصولية أكاديمية - ويكيبيديا(wikipedia.org) ، تاريخ الانزال: 2019/11/20

. الهوامش

[1])- ماد قبريال قاتوج، طروحات إدوارد سعيد وحميد دباشي في الاستشراق وما بعد الاستشراق: دراسة تحليلية مقارنة، مقال نقدي، الموقع الالكتروني: https://www.ahewar.org/، تاريخ الانزال: 4 / 2017 / 17

[2])- علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط03، 2004، ص 13، 14، بتصرف

[3])- علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، ص10.

[4])- إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 32، 33، 34، بتصرف

[5])- إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ، ص 34، 35، بتصرف.

[6])- إدوارد سعيد، صور المثقف، تر: غسان غصن، النهار للنشر، دط، بيروت، 1996، ص 27، 28.

[7])- إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ، ص 181.

[8])- ينظر : حميد دباشي، ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الارهاب، تر: باسل عبد الله وطفه، منشورات المتوسط، إيطاليا، ط1، 2015، ص ص 27، 28، بتصرف.

[9])- وصولية أكاديمية - ويكيبيديا(wikipedia.org) ، تاريخ الانزال: 2019/11/20.

[10])- ماد قبريال قاتوج، طروحات إدوارد سعيد وحميد دباشي في الاستشراق وما بعد الاستشراق: دراسة تحليلية مقارنة، مقال نقدي، الموقع الالكتروني: https://www.ahewar.org/، تاريخ الانزال: 4 / 2017 / 17

[11])- إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى ومقالات أخرى 1، تر: ثائر ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 117.

[12])- ينظر : حميد دباشي، ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الارهاب، تر: باسل عبد الله وطفه، منشورات المتوسط، إيطاليا، ط1، 2015، ص 30.

[13])- بيل أشكروفت وآخرون، الرّد بالكتابة(النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة)، تر: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 176.

[14])- ماد قبريال قاتوج، طروحات إدوارد سعيد وحميد دباشي في الاستشراق وما بعد الاستشراق: دراسة تحليلية مقارنة، مقال نقدي، الموقع الالكتروني: https://www.ahewar.org/، تاريخ الانزال: 4 / 2017 / 17.

[15])- محمد بنيس، في الكتابة والحداثة، الأعمال النثرية، ج1، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2016، ص 94

[16])- بيونغ تشول هان، مجتمع الشفافية، تر: بدر الدين مصطفى، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2019، ص 16.

[17])- محمد بنيس، في الكتابة والحداثة، الأعمال النثرية، ج1، ص 94.

[18])- إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى ومقالات أخرى 1، تر: ثائر ديب، ص 220.

[19])- حميد دباشي، ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب، ص 34.

[20])- راسل جاكوبي، نهاية اليوتوبيا(السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة)، تر: فاروق عبد القادر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 269، 2002، ص 123.

[21])- راسل جاكوبي، نهاية اليوتوبيا(السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة)، ص 144.

[22])- بتسام الوسلاتي، الهامشية في الأدب التونسي، (تجربة جماعة تحت السور)، دار الجنوب للنشر، تونس، 2019، ص 29

[23])- إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى ومقالات أخرى 1، تر: ثائر ديب، ص 117.

[24])- حميد دباشي، ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب، ص 34.

[25])- بن علي لونيس، إدوارد سعيد، من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية(كيف نؤسس للوعي النقدي؟)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 242.

[26])- حميد دباشي، ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب، ص 37.

[27])- بن علي لونيس، إدوارد سعيد، من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية(كيف نؤسس للوعي النقدي؟)، ص 243.

[28])- راسل جاكوبي، نهاية اليوتوبيا(السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة)، ص 127.

[29])- حميد دباشي، ما بعد الاستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب، ص 290،289، بتصرف.

[30])- بن علي لونيس، إدوارد سعيد، من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية(كيف نؤسس للوعي النقدي؟)، ص 246.

[31])- بيل أشكروفت وآخرون، الرّد بالكتابة(النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة)، ص 16.

[32])- هومي.ك.بابا، موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 299.

[33])- إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى ومقالات أخرى 1، تر: ثائر ديب، ص 34.